طقوس الاحتفال برأس السنة الأمازيغية

Héritage Célébration janury NewYear Amazigh

د.محروق نوال[1]

تاريخ الاستلام: 2021/08/23 تاريخ القبول: 2021/10/15 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص: تعتبر دراسة الموروث الشعبي للمجتمع الجزائري من الموضوعات البحثية المحضة في التاريخ الجزائري التي تكشف لنا مختلف الطقوس والممارسات الاحتفالية حتى نجد الاحتفالات بيناير احدى الطقوس التي يكُن لها المجتمع الجزائري مكانة خاصة باعتبارها احدى الطقوس القديمة التي تحمل دلالات رمزية مرتبطة على الخصوص بالنشاط الفلاحي. ورغم أهمية هذا الطقس إلا أنه لم يحظ بدراسات أكاديمية بالغة، وأغلب ما كتب عنه فهو يكتسي طابعا فلكلوريا . وتعد الاحتفالات الشعبية من أهم أشكال التعبير الشعبي، وهي ممارسات نمطية وأداء له أسلوب ذو أبعاد دينية واجتماعية وثقافية. تصاحب الاحتفالات بيناير مجموعة من القواعد التي يجب التقييد بها كالتحضير له من قبل وإعداد أطعمة خاصة بهذا اليوم، واحترام العادات والتقاليد المتجذرة في العائلة للحفاظ على الهوية الثقافية في كل المناطق.

كلمات مفتاحية: التراث ، الاحتفال، يناير ، رأس السنة الأمازيغية.

Abstract: the amazigh community that isstik with the designing of identity which includes values and traditions and the ancient civilization of north African societies and their roots how ever foreign cultures has been interred and combined with their heritage and became over the years a hybrid combination of language and social origin .But Since The independense of algeria Till This Day Has emerged Reforme Movment Adopted Bay Secial Political Streams And Faction For many Reason And Defrent Goals Which called for returning to basic Roots and renewing the heritage and the cultural Lecacy of the Amazigh community and Protecting the Identity through the Deferent cultural Activities.

Keywords: Heritage, celebration, January, Amazigh New Year.

[1] جامعة وهران2، الجزائر، البريد الالكتروني [n.mahroug@yahoo.fr].

مقدمة:

أصبح الاحتفال بيوم رأس السنة الأمازيغية من اهتمامات التراث الشعبي الجزائري الذي يكشف لنا عن مختلف الطقوس والممارسات .

وقد نجد الطقوس الاحتفالية القديمة بيناير لها أبعاد ودلالات تحمل في طياتها رموزا هامة مرتبطة بالأرض وبالمحصول الزراعي، على اعتبار أن الانسان المغاربي مرتبط بالفلاحة شأنه في ذلك شأن المجتمعات الزراعية القديمة، ولذلك فهو يسعى لخدمتها و حمايتها بمختلف الطرق .

ورغم أهمية هذت الموضوع إلا أنه لم يحظ بدراسات أكاديمية واسعة، وسنحاول في هذه الورقة البحثية إدراج بعض الدراسات السابقة عن مجموعة من المفكرين اللذين أبرزوا الجوانب الثقافية الشعبية للمجتمعات الإنسانية وهي الفكرة التي أيدها "ديستان" اعتمادا على ما أورده "العبدري المغربي" في كتابه موضحا مقاربة مفادها أن احتفالات يناير مسيحية الأصل بسبب تأثير الثقافة اللاتينية الرومانية. وأنها كانت معروفة في مصر في العهود الاسلامية إلى جانب عدد من الاحتفالات الأخرى كعيد ميلاد السيد المسيح وعيد الزيتون وعيد خميس العدس(ادموند،2011،ص5).

أما في الجزائر فقد نجد منطقة الأوراس المعروفة بدراسة "اشارمسكري" و ما بينه من القيم المعهودة عليها عدد من القبائل الأوراسية التي تحتفل بيناير وتسميه "ينار" و يتم الاحتفال به ثمانية أيام بعد دخول العام الجديد الذي تميه "بويني"، إذ يتم تغير كل ما هو قديم في المنزل و يتم الاغتسال في الليلة التي تسبق الاحتفال وتقدم الأطباق من اللحم والبيض و يتم التصافح و التسامح و التسليم كما يحدث في العيد.

وتؤكد دراسة "اموندديستان" إلى وجود هذه الاحتفالات بالغرب الجزائري كتلمسان ووهران ومنطقة بني سنوس التي كانت الاحتفالات فيها غنية بالموروث الثقافي ومجموعة من الطقوس و الممارسات الرمزية التي اشار اليها "ديستان" في النصوص الامازيغية النادرة عن هذه الاحتفالات.

و يضيف "ديسبارمي" الى وجود مناطق كثيرة في الشرق الجزائري كانت ولا تزال تحتفل بهذه المناسبة وتعطيها أهمية بالغة على غرار بعض المناطق كقسنطينة وسعيدة ...الخ . (لحسن،1981،ص76).

وشهر يناير بالتحديد يعني الكثير لسكان شمال إفريقيا فهو بداية السنة، و غالبا ما يكون مصحوبا بأمطار و ثلوج تجعل الأرض ذات مردود زراعي وافر، أما بخصوص اليوم الثاني عشر منه فهو الرقم الزوجي الذي يرمز إلى السنة الشمسية الاثنتي عشر.

أما المغاربيون فلقد كان لهم نصيب في الاحتفال بالعام الامازيغي الجديد وذلك بتنظيم أشكال ومظاهر احتفالية خاصة بالتقاليد الأمازيغية .

إذ يجري إعداد الأطباق الشهية والرقص على أنغام وأهازيج شعبية وحضور الأنشطة والفعاليات الثقافية والفنية التي تنظمها الهيئات الحكومية والفعاليات المدنية المدافعة عن التقاليد القبائلية.

ومن خلال ما قدمناه سالفا وبعد ذكر بعض الدراسات السابقة والممارسات اليومية لأفراد وعائلات قبائلية تختلف في تنشيط فعالياته، إذ لاحظنا العديد من العائلات ما زالت لحد اليوم تنتهج نفس الرموز والتقاليد المتجذرة في ثقافتهم الأبوية، أما العائلات التي أخذناها كعينة لدراسة هذا الموضوع لاحظنا أنهم أدخلوا عليها بعض التعديلات الحضارية كالمزج في خياطة الثوب الأمازيغي بين خياطة الزي الوهراني مع الزي الأمازيغي الذي يحمل دلالات الروابط الاجتماعية والثقافية بين الأجيال.

ما لاحظناه من تحليلات للمقابلات مع الفئة المدروسة تبين لنا أن معظم هذه الأسر تحتفل بالطقوس المتعلقة "بيناير و لكن بطبوع وتصورات مختلفة، نذكر على سبيل المثال اختلاف الأطباق وارتداء الملابس التقليدية وشراء المكسرات المختلفة مع الحبوب المجففة وتحضيرها بيوم قبل الاحتفال وتسمى باللهجات المختلفة "الشرشم " كلفظ يستعمل في الجهة الغربية من البلاد "وهران" .

أما الحكومة الجزائرية فلقد أعطت هذا الاحتفال طابعا رسميا خاصة عندما أقرت منذ سنة 2018 برأس السنة الأمازيغية عطلة رسمية بعد قرار رئاسي نهاية ديسمبر كانون الأول وذلك في سياق جهود الدولة الرامية إلى ترقية التراث واللغة الأمازيغية حسب البلاغ الرئاسي .

من خلال ما وضحناه سابقا تبين لنا أن هذه العادات والتقاليد تخص أغلبية الشعب الجزائري وهو ما صرحت به أغلبية الفئات المدروسة إذ يعتبر احتفالا من أجل التقويم الزراعي السنوي، أما الأغلبية الساحقة من المجتمع المبحوث فقد يراها عادة تراثية هدفها الحفاظ على الرابط الاجتماعي بين العائلات الجزائرية، حيث بينت لنا إحدى الباحثات درجة رضاها بهذا اليوم الذي تنتظره العائلات الأمازيغية المتجذرة حتى يكون فرصة لجمع الشمل والصلح بين الأفراد والعائلات التي تكون محلا للصراع، وهي مؤشرات تبينت لنا من خلال التقنيات المتبعة لتحليل المعطيات البحثية، إذ قمنا بدراسة المعيش اليومي لهذه الفئة من المجتمع المدروس، واستعملنا تحليل معطيات المقابلات اليومية مع أفراد عائلات أمازيغية و عائلات أخرى مختلفة. وكل واحد فيهم عبر عن سلوكياتهم المتبعة في هذا اليوم .

من خلال ما ذكرناه سالفا تبدى لنا طرح هذا الإشكال الذي يجول في فكرنا ألا و هو: **أيمكن أن نتوقع احتفالا بهذه الطقوس في كل المناطق الجزائرية من غير المناطق القبائلية ؟**

من خلال هذه الإشكالية تتبدى لنا هذه الفرضيات :

- تحتفل المناطق الأمازيغية فقط برأس السنة .
- تحتفل المناطق المختلفة من الجزائر بهذا اليوم .
- المستوى الاجتماعي هو الذي يدفع الفرد للاحتفال بهده الطقوس " يناير".

و لكل موضوع مدروس أسباب اختيار ولكوني أنتمي إلى هذا البلد فإنني أولي أهمية بالغة لهذا الموضوع واحتفل به بالطرق الخاصة بالجهة الغربية من البلاد كشراء المكسرات والتحضير للعشاء مثلا...الخ.

وهذا الجانب ساعدني في رغبتي في معالجة هذا الموضوع، و كان الهدف منه هو نشر بعض الرموز و الأنشطة التي يفتقرها الجو الاحتفالي، إلا أنه يحمل في طياته تصورات تدخل البهجة لهذه الفئات المحرومة .

- جغرافية احتفالات يناير بالجزائر:

ليست احتفالات يناير محصورة في منطقة واحدة في الجزائر كما حاولت بعض الدراسات أن تثبت و إنما هي عامة، وفي مناطق مختلفة حتى الناطقة بالعربية .

- الابعاد الرمزية لغذاء يناير:

خلال الاحتفالات بيناير، يتم إعداد أطباق غذائية متنوعة، حيث يذهب الرجال قبل يناير الى السوق لشراء الأشياء الضرورية، كما يذهبون إلى المطحنة لجلب السميد. أما النساء فيقضين خمسة أيام في جلب الحطب.

وفي السابق كان الرجال في بني "سنوس" يجتمعون في الصباح الباكر للقيام برحلة صيد، فيجلبون الأرانب و الحجل التي ستطبخ و تؤكل في الغد، و تغيرت العادات، فصاروا يقومون بذبح خروف أو عنزة حتى يتوفر للناس اللحم في اليوم الثاني، كما يتم أكل الدجاج في كل عائلة.

في اليوم الأول من يناير يتم تحضير الخبز المتوسط الحجم، وتوضع في وسطه بيضة ويوزع على الأصدقاء الذين يردون عليهم بالهدايا.

كما يعد نوع آخر من الحلوى مصنوعة من التين الجاف والرمان والبرتقال والجوز و تصنع منها الأكاليل.

أما التحضير في قرية الكاف ببني سنوس الذين يحتفلون خلال أربعة أيام أو خمسة، وفي قرية الخميس تدوم الاحتفالات سبعة أيام لا يتناول الناس الأكل إلا البارد منه.

ويحضر للعشاء البركوكس بالحليب، اذ يمتنع عن استعمال التوابل وخاصة الفلفل الأحمر، حتى لا تكون السنة حمراء أي جافة، ومن هذا الطبق توضع بعض الحبيبات فوق حجارة الكانون وعلى روافد السقف، ولا تغسل الأواني التي طبخوا بها ولا الخبز المفتت ولا حبيبات البركوكس حتى الى حين (ادموند،2011،ص3،2).

- طقوس التفاؤل بالسنة الجديدة:

صباح الاحتفال بيناير قبل شروق الشمس هناك بعض العائلات في الأوراس تقوم بنثر بعض الشرشم على الاشجار حتى تكون المحاصيل جيدة.

و هناك مناطق أخرى كبني "سنوس" يفتتحون العام الجديد بجلب النباتات الخضراء الى الدار في صبيحة اليوم الأول من يناير، فتذهب النساء والاطفال الى الغابة المشرفة على قرية الكاف لجلب الدوم وأغصان الزيتون، الاكليل، الضرو، الخروب، الكلخ والسانوج ...الخ ،وتضع النساء هذه الأعشاب فوق سطح المنزل لتجفف.

كما ارتبطت هذه الاحتفالات في بعض الجهات بممارسات سحرية تفاؤلية، ففي ليلة 31 ديسمبر وقبل الانصراف إلى النوم يربط كل ساكن خيمته بركيزة أساسية التي تستند اليها الخيمة وهو عمود صغير يحمل علامة يعرف بها، وفي الغد الباكر تكون حالة العمود دليلا على ما سيحصل لصاحب الخيمة وكان هناك معتقد أن من يسقط عموده قد يموت قريبا .

- الممارسات المحضورة في احتفالات يناير:

ترفق الاحتفالات بيناير العديد من القواعد التي يجب التقيد بها في بعض المناطق، ففي هذا اليوم لا ينبغي إعارة النار أو الملح أو العجين أو أواني المطبخ [المواعين]، أو شراء مكنسة أو استعارتها فإن هذا يوشك أن يكون فيه طرد للرزق، و يعتبر كل طبق محروق نذير بشؤم، ولا تذهب النساء الى الحمام في أيام العيد ولا تحلق رؤوس الأطفال .

و في تلمسان تجتنب النساء تغيير الفراش والثياب كما لا تقلم الأظافر في هذه الأيام .

و من ما مضى عن الطقوس العربية، عدم القضاء على الحشرات المنزلية خشية أن تصاب العائلة بظروف مأسوية.

- ألعاب الاطفال في يوم الاحتفال:

يمارس الأطفال مجموعة من الاحتفالات وينتظرون هذا اليوم بفارغ الصبر حيث يذهبون إلى سفوح الجبال ويأخذون معهم بعضا من الطعام كالخبز والاسفنج والتين والزيتون ...الخ ، وعند الانتهاء من اللعب يجتمعون من جديد للأكل.

أما في بني سنوس فمسألة اللعب تكون مرتبطة بالوضعية الجوية، فاذا كان الجو حارا تذهب الفتيات الى المغارة و يصنعن من عود الكلخ دمية ليلبسنها و يغنون ويرقصن حتى تغرب الشمس .

ويذهب الأطفال بأقنعة في بيوت العائلات في "بني سنوس" في تلمسان ويطلبون منهم الفواكه بأشعار غنائية وتسمى في المنطقة بـ"بوميناني ".

كما يقوم الأطفال في بني سنوس بتقليد القطيع والمشي على أربع كما يصرخون بصوت مرتفع كأصوات القطيع وهو يهجو للعودة من المراعي وتبقى الامهات واقفات على أبواب المنازل ينتظرن عودتهم بالمساعدة على إدخالهم بقوة وبصوت مرتفع معتقدين أن هذه السلوكات تجلب لهم الخيرات وتطرد الأمور السلبية من البيت.

كما توجد أيضا لعبة ارتداء زي التهريج لتقليد الأسد فيلبسون أوبار الحيوانات ويصنعون الأسد المزيف ليذهب ويخيف الأطفال وتأتي العائلات لحماية أطفالهم محملين بالأطعمة ويبتعد الأسد المزيف عنهما عندما تقدم له البعض منها ثم تُجمع البقية ليتصدقوا بها داعين الله عز وجل بنزول الأمطار .(ابن بشكوال،2003،ص11،10).

وتعرف ليلة رأس السنة باسم "ثابورتاسغاس" ، أي "باب السنة" لدى القبائل الأمازيغية التي تعيش في الجزائر، وتسمي أيضا باسم "عيد الصقاس" لدى قبائل المغرب الأمازيغ .

وفي الآونة الأخيرة اكتسب الاحتفال بيناير أهمية إضافية كوسيلة للحفاظ على الهوية الثقافية الأمازيغية .

- أسطورة رأس السنة الامازيغية :

يرى بعض المؤرخين أن تاريخ بدء التقويم الأمازيغي يعود إلى اليوم الذي هزم فيه الملك الأمازيغي شيشنق الأول، الفرعون المصري رمسيس الثالث، وذلك في العام 950 قبل الميلاد، وذلك بعد معركة

طويلة يعتقد أنها دارت في مدينة تلمسان الجزائرية، واستطاع شيشنق بعد انتصاره تأسيس نظام ملكي يحكم من ليبيا حتى مصر، وفقا لما ذكره سابقا.

سابقا لم يتم حساب السنوات الامازيغية حتى ستينات القرن الماضي عندما قررت "أكاديمي بربر" وهي جمعية ثقافية أمازيغية مقرها باريس، بدء عد السنوات الأمازيغية اعتباراً من عام 950 قبل الميلاد ليتناسب مع صعود شيشنق على عرش مصر .

حيث كان شيشنق أحد الشخصيات البارزة في تاريخ الأمازيغ عبر تاريخ شمال إفريقيا القديم ورمزا للقوة.

- احتفالات يناير و علاقتها بالمرأة العجوز العنيدة :

تنتشر الكثير من المعتقدات والأساطير والروايات، وتحكي الميثولوجية الأمازيغية أنه كان هناك عجوز عنيدة استهانت بقوة الطبيعة وخرجت لتتجول مع عنزتها بين الحقول في اليوم الأخير من شهر يناير لتتحدى برده وثلوجه.

فشعر شهر يناير بالإهانة من وقاحة المرأة العجوز، فطلب من شهر فبراير أن يقرضه يوما إضافيا ليجبر المرأة العجوز على النوم في الحقل البارد والمثلج كعقوبة لها قائلا له:

أتخيلك أعمي فورار راسلي ليلة و نهار

نرمي العجوز في النار

فكان له ما أراد و بذلك تقلص شهر "فورار" فيفري إلى 28 يوما، و لما خرجت العجوز بماعزها إلى الجبال، تساقطت أمطار وثلوج وهلكت العجوز بماعزها (نجاة،2013،ص19).

ويعتقد في بعض المناطق أن من يحتفل بيناير، سيبعد عن نفسه عين السوء، وعواقب الزمن، كما يعد يناير مناسبة للقيام بطقوس محلية عديدة تختلف باختلاف المناطق، فمثلا بعض الأسر في الجزائر تفضل إعداد الكسكسي الذي يمثل سيد الإطباق التراثية الاحتفالية في هذا اليوم، وإلى جواره أطباق أخرى ذكرناها سالفا (العجال،2014،ص13).

- الدور الاجتماعي للاحتفال بيناير:

من هنا تبرز أهمية وفائدة تحليل تمثلات وممارسات الاحتفال بيناير مع الأخذ بعين الاعتبار عاملين اثنين سيكون لهما تأثير على التمثلات، ونعني بهما محيط الحياة الاجتماعية الذي ذكرناه كفرضية وتأثيره على التنشئة الاجتماعية الأولية ودور المحافظة على العادات والتقاليد المتوارثة و يعني هذا المفهوم

وجود عادات مكتسبة اجتماعيا متجذرة في أعماق الوجدان الاجتماعي تعمل على توجيه خيارات الأفراد في أذواقهم ومعاملاتهم في هذه المناسبة، وبصفة عامة تعمل على تشكيل قيم تشكل عن طريقها تمثلاتهم، ولكن حسب ذهنية وخصوصيات المسارات الخاصة بكل عائلة .

ومن هنا فإن لكل عائلة خصوصيات وعادات وتقاليد يستعين بها أو تكون دليله أثناء احتفاله بهذا اليوم، وبالتالي عندما تندثر العائلة الكبيرة تلقن عاداتها وتقاليدها إلى الأبناء لتصبح هده الممارسات مرحلة انتقالية بين الافراد، وتسمى هذه الفكرة ممتلكات السوسيو ثقافية ما يسمى بالهابتوس.

غير أن التعلم الثقافي، كما تصوره "سانسوليو" هذه المرة، يمثل عاملا آخر سيؤثر على الأفراد بفعل عملية تلقين معايير وطقوس وقواعد جديدة، ويمكن أن تكون ثقافات متعددة وليس إلا ثقافة واحدة أي وجود هويات اجتماعية مختلفة مستنبطة من تصورات مستقلة عن بعضها البعض بصفة متغيرة .

خلاصـــة:

عالجنا في هذا البحث الطقوس الاحتفالية بيناير التي تعرفها البلاد من وجهة التحولات الاجتماعية والاقتصادية، وهذا عن طريق دراسة بحثية لمجموعة من عائلات مختلفة الأجناس لنثري هذا البحث بمعدات ومؤشرات سوسيو ثقافية تترك في ذاكرتنا بصمات ورموزا يخلدها التاريخ وتشهد علها الأجيال، فلا يمكن تصور هذه التحولات في الطقوس المرافقة لعملية الاحتفال دون تأثير على البنيات الاجتماعية والثقافية .

المراجع:

الكتب بالغة العربية :

• لحسن الوزان، (1981)،وصف افريقيا ،تر، محمد حجي و اخرون ، دار الغرب الاسلامي ، الرباط.

• ابن بشكوال ،(2003)، الصلة في تاريخ علماء الاندلس ، دار المكتبة العصرية ، لبنان.

الاطروحات :

•نجاة العجال ،(2014)، الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، مذكرة ماستر ، جامعة الوادي.

• ديستان دموند ،(2011)، بني سنوس في النصف الاول من القرن العشرين ، موفم للنشر ، الجزائر.

باللغة الفرنسية :

•Mathea GAUDRY ,(1998) , ,lafemme chaouiadel aures,chihab-AWAL .

•LaoustE.Mots ,(1920) , et choses berbers. Paris:chalamel .